(١٠٣) سورة التكاثر

فى رحاب السورة الكريمة

سورة كريمة آياتها ثمان نزلت بعد سورة الكوثر وهى تتحدث عن انشغال الناس بمغريات الحياة وتكالبهم على جمع المال وحطام الدنيا وزخرفها الزائل حتى يفاجئهم الموت، وعندئذ لا ينفع الندم وقد تكرر فى السورة الزجر والإنذار والتخويف تنبيها لهم على خطئهم بانشغالهم بالفانية عن الباقية يقول الشاعر:

الموت يأتى بغتة والقبر صندوق العمل

ثم ختمت السورة ببيان المخاطر والأهوال التى يلقاها الإنسان فى الآخرة ولا ينجو منها إلا المؤمن الصالح.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ ﴾

معانى المفردات:

ألهاكم: شغلكم عن طاعة ربكم — التكاثر: التباهى بكثرة نعم الدنيا

علم اليقين: العلم اليقينى — عين اليقين: نفس النعيم

النعيم: ما يتلذذ به الإنسان فى الدنيا

التفسير:

﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾ أى شغلكم أيها الناس التفاخر بالأموال والأولاد والرجال عن طاعة الله، وعن الاستعداد للآخرة ﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴾ أى حتى أدرككم الموت، ودفنتم فى المقابر، قال القرطبى: المعنى شغلكم المباهاة بكثرة المال والأولاد عن طاعة

الله، حتى دفنتم فى القبور[1] ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ زجر وتهديد أى ارتدعوا أيها الناس وانزجروا عن الاشتغال بما لا ينفع ولا يفيد، فسوف تعلمون عاقبة جهلكم وشرككم ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ وعيد إثر وعيد، زيادة فى الزجر والتهديد قال ابن عباس "كلا سوف تعلمون" ما ينزل بكم من العذاب فى القبر ثم "كلا سوف تعلمون" أى فى الآخرة إذا حل بكم العذاب[2] ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴾ أى ارتدعوا وانزجروا فلو علمتم العلم الحقيقى الذى لا شك فيه ولا امتراء، وجواب "لو" محذوف لقصد التهويل أى لو عرفتكم ذلك لما ألهاكم التكاثر بالدنيا عن طاعة الله وفى الحديث الشريف "لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا"[3] ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴾ أقسم وأوكد بأنكم ستشاهدون الجحيم عيانا ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾ أى ثم لتروها رؤية حقيقية بالمشاهدة العينية قال فى البحر: زاد التوكيد بقوله ﴿ عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾ نفيا لتوهم المجاز فى الجملة الأولى[4] ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ أى ثم لتسألن فى الآخرة عن نعيم الدنيا من الأمن والصحة وسائر ما يتلذذ به من مطعم ومشرب ومركب ومفرش.

أسباب النزول

قال مقاتل: نزلت فى حيين من قريش بنى عبد مناف وبنى سهم كان بينهم عداء "فتعاند السادة والأشراف أيهم أكثر، فقال بنو عبد مناف: نحن أكثر سيدا وعزا وعزيزا وأعظم نفرا، وقال بنو سهم مثل ذلك فكثرهم بنو عبد مناف، ثم قالوا نعد موتانا حتى زاروا القبور فعدوا موتاهم فكثرهم بنو سهم لأنهم كانوا أكثر عددا فى الجاهلية وقال قتادة: نزلت فى اليهود قالوا: نحن أكثر من بنى فلان وبنو فلان أكثر من بنى فلان، ألهاهم ذلك حتى ماتوا ضلالا[5].

---

(١) القرطبى ٦٨/٢٠ وقال ابن كثير: شغلكم حب الدنيا ونعيمها عن طلب الآخرة وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم / الموت وزرتم المقابر وصرتم من أهلها.

(٢) القرطبى ١٧٢/٢٠.

(٣) جزء من حديث رواه البخارى.

(٤) البحر المحيط ٥٠٨/٨.

(٥) أسباب النزول للنيسابورى ص ٥٠٦ طبعة دار الغد العربى.

الإعراب:

أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ	ألهاكم فعل ماض مبنى والضمير فى محل نصب مفعول به مقدم، التكاثر فاعل مؤخر مرفوع، حتى حرف غاية وجر ويجوز أن تكون عاطفة وهى بمثابة الغاية للإلهاء، زرتم فعل ماض مبنى والتاء فاعل والميم علامة الجمع، المقابر مفعول به منصوب.
كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ	كلا حرف ردع وزجر، سوف حرف استقبال، تعلمون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل، ثم حرف عطف، كلا سوف تعلمون عطف على ما قبلها وبنفس الإعراب.
كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ	كلا حرف ردع وزجر والتكرير للتأكيد دلالة على أن الإنذار الثانى أبلغ وأشد من الأول، لو أداة شرط غير جازمة وجوابها محذوف يعنى لو تعلمون ما أمامكم من هول لفعلتم ما لا يمكن وصفه، تعلمون فعل الشرط مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل، والمفعول محذوف تقديره عاقبة ذلك التباهى والتفاخر والتكاثر علم اليقين مصدر قيل وأصله العلم اليقين فهو من باب إضافة الموصوف إلى صفته[1] "لترون" هو الجواب أنه محقق الواقع واللام جواب قسم محذوف، ترون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون المحذوفة لتوالى الأمثال، الجحيم مفعول به والفاعل مستتر تقديره أنتم.
ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ	عطف على ما تقدم وعين اليقين نعت على إنها صفة لمصدر محذوف أى لترونها رؤية عين اليقين، وصفت الرؤية التى هى سبب اليقين بكونها عين اليقين.

(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه لمحى الدين الدرويش المجلد العاشر ص ٥٦٩.

ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ	عطف أيضا على ما سبق، وتسألن مضارع مرفوع بثبوت النون المحذوفة لتوالى الأمثال، وواو الفاعل حذفت لالتقاء ساكنين والنون نون التوكيد الثقيلة، يومئذ ظرف مضاف لمثله، عن النعيم جار ومجرور متعلقان بتسألن.

من ألوان البلاغة

لقد تضمنت السورة الكريمة بعض الصور البلاغية نذكر منها:

- الكناية فى قوله تعالى ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾ حيث كنىَّ عن الموت بزيارة القبور والمراد حتى متم.
- الطباق بين "النعيم ـ الجحيم".
- الإطناب بتكرار الفعل "لترون" ثم قوله "لترونها" لبيان شدة الهول.
- الوعظ والتوبيخ فى قوله تعالى ﴿ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴾ فقد خرج الخبر عن حقيقته إلى التذكير والتوبيخ.
- حذف جواب "لو" بالتهويل فى قوله تعالى ﴿ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴾ أى لرأيتم ما تشيب له الرءوس.
- التكرار للتهديد والإنذار فى قوله تعالى ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ وعطفه يتم للتنبيه على أن الثانى أبلغ من الأول.
- السجع الجميل غير المتكلف فى السورة كلها.